هناك، يتعرّف الى «ماريسا» التي تعاني من عقدة ذنب بسبب انتماء ابيها الى الجيش أيام النازية، ثمّ انخراط «العبد» في خليّة فدائية تعمل في اوروبا، وتصطاده فئة تسمّي نفسها «خلية يافا»، وتورّطه في تفجير سيارة ملغومة في قبرص. تتتابع احداث الرواية متنقّلة بين اوروبا وخربة الزبداوي (وهو عنوان الجزء الاول) لتصوّر مجريات الاحداث في ظل الانتفاضة، ومعاناة المواطنين، بمختلف شرائحهم واجناسهم، ونمو وتطوّر شخصياتهم، عبر التظاهرات والهجمات التي تشنّ ضد دوريات وجنود الاحتلال، ليتركّز فعل الحدث في شخصيات المختار والحاج عبدالصبور وعيّوش، التي تهيم حباً بالعبد، وتعقد آمالاً عريضة على الفوز به. لكن الانفجار المذكور يسبقها اليه. وصبرية، خطيبة عباس، التي تفضّل رائحة الزعتر البلدي على العطر. وصابر وسامح ولدان حديثا العود يشكّلان محور المقاومة والاتصالات مع عباس وسعود ومسعود وطارق (مجموعة من شبان الانتفاضة).

وتواصلت الاحداث بكثافتها: استشهاد أبي العبد، الذي لم يسبق لأحد قبله ان خوزق الباشق؛ وسفر «ماريسا» الى خربة الزبداوي لتعيش تجربة جديدة مع الفلسطينيين في ظل الانتفاضة، تختلف عن تجربتها السابقة في احدى كيبوتسات مرج بن عامر، كمتطوعة تعمل في قاعة طعام؛ ثمّ استشهاد ام احمد التي كانت، لمثل هذا اليوم، تقطم رؤوس عيدان الكبريت، وتجمعها في صرّة صنعت منها قنبلة بدائية، مؤمنة بأنها ارتاحت وخلصت من عار ابي احمد، وانتقمت لأبنها الشهيد؛ كذلك تجربة الاعتقال العميقة التي مرّ بها سامح ونفّوس وصبرية. وتواصلت شخصية سمعان، منذ بداية عمله كمسؤول خلية فدائية حقيقية (غير خلية يافا الغامضة)، تعمل في اوروبا، عبر رحلة كلّها مغامرات، وصولاً الى الجزائر، حيث عُقد المجلس الوطني الفلسطيني الذي اعلن استقلال الدولة الفلسطينية العتيدة. وبذلك تكون خاتمة الجزء الثاني من الرواية «زغرودة الدم».

ان موضوع الرواية، بأحداثه التي تواصلت وتتتابعت، كتبه الزمن الفلسطيني ـ زمن الانتفاضة، ودور الراوي، في هذا الاطار، لم يتعدّ صوغ الحوار الداخلي، والخارجي، للنصّ الروائي بطريقة تسجيلية، هي أقرب الى نهج الحكايا الشعبية، على الرغم ممّا يمتاز به من اسطورية ابتعد منها وتد واستقر على الحالة النضالية في الانتفاضة، على الرغم من انها، ومنذ اندلاعها، عكست حالة اسطورية راقية تجسّدت في عزيمة ابطالها وبطولاتهم التي وانْ أدّت الى الموت، الّا انها ظلّت تمثّل لعبة جمالية تلعبها الارادة في جموحها المتوهج مع ذاتها.

وقد استخدم وتد، ووظّف، اسماء شخصيات حقيقية في روايته، مثل الشاعر المتوكل طه مع بعض نصوصه الشعرية الى جانب كل من «الافرنجي» و«البيطار» و«الكيلاني» و«عبدالهادي»، الخ؛ وهي اسماء معروفة في الواقع.

ودخل وتد الى النسيج الاجتماعي لشعب الانتفاضة وتركيباته الطبقية، معطياً لكلّ دوره ومهمته، حسبما تقتضيه حالة الواقع؛ وحلّل هذا النسيج، وخلخل بناه، وأعاد تركيبه على نحو ما يراه ويؤمن به، مركّزاً جهد الفعل، في عمله الروائي، على الابناء ـ جيل الـ ١٤ سنة، وبعقد الامل الكبير في الخلاص على هذا الجيل الذي يراه حاملاً الثورة على أكتافه؛ انه جيل الاستقلال والحرية؛ وكأني بهذه الرواية موجّهة الى جيل الشبان تحديداً.

ولكن ثمّة شخصيتين تستوجبان التوقّف عندهما في الرواية: الاولى «العبد» ابن الفلاح البسيط، الراحل من الخربة الى اوروبا ليكتشف عالماً جديداً مبهراً يغوص فيه حتى أبعد ايقاع في الرقص والمجون. ولكن، في الوقت عينه، يظل مشدوداً الى ارثه الطبقي والمعرفي، وارتباطه الأصيل